باب تمهيدى

يتفـق الناس جميعاً المؤمن منهم والملحد، والعالم والجاهل على حقيقة اعتبار أن الروح هـى السـر الإلهى الذى يضفى علينا الحياة، والتى بغيرهـا يتحول الكائن الحى إلى جثة هامدة، سرعان ما تبلى وتعود إلى مصدرها الأول وهو أديم هذه الأرض فالبعض يؤمن إيماناً راسخاً بخلود الروح، وإمكان اتصال الأحياء بموتاهم، وبالظواهر الروحية المختلفة كالطرح الروحى، والتجسد، .. وغيرها

أمـا الفريـق الثانى فهو من الماديين المغرقين فى المادية، وأولئك ينكرون هذه الأنشـطة الروحية ويرفضون التسليم بصحتها. ولقد أعان ظهور النظرية الوضعية فى القرنين ١٧، ١٨ على دعم رأيهم. فقد وضعت هذه النظرية كصمام أمن لمنع نفاذ المعتقدات الباطلة إلى مجال العلوم، فهى تستلزم – لإضفاء صفة الحقيقة العلمية – وضع المعلومة محل البحث موضع التجريـب وثبوت صحتها. ولكننا نعلم أن الدراسـات فى علم الروح الحديث: بل جميع الدراسـات الإنسانية تختلف عن العلوم المادية، من حيث تداخل عوامل غير منظورة تؤثر فى نتائج التجربة، كتوفر المجال اللازم لتحقيق الاتصال الروحى، أو صلاحية الوسـيط، والذى يتوقف أيضاً إلى حد كبير على قدرة الروح (النفس وكما سـيأتى شـرحه بعد) ذاتها ورغبتها فى التعاون مع الوسيط.

وهنـاك فريق ثالث يمثل الجمهور من النـاس، ينكرون بدورهم الروحية – (دون تبصر أو دراسة) ويرفضون – استسهالاً – الخوض فى البحوث الروحية، لأن الموت فى اعتقادهم يعنى الفناء والعدم المطلق إلى أن تقوم السـاعة ويبعث الله سبحانه وتعالى الموتى فى الحياة الأخـرى. بـل ما هو أكثر من ذلك ينظرون إلى الظواهر الروحية، نظرة التشـكك المرتاب، لتشـابهها فى أذهانهم مع بعض الغيبيات التى تسـتخدم فى أعمال الشـعوذة والدجل، كتحضير الجان والسحر، وما شابهها، وليس هذا بالشىء المستغرب، فالناس كافة يميلون بطبيعتهـم إلى التسـليم بالأمور التى ألفوها فى حياتهم وإلى نبـذ وتكذيب كل ما يخالفها أو يغير من مفهومها أو كنهها، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الخوض فى خضم العلوم وسبر أغوارهـا، وصـدق الإمام على بن أبى طالـب رضى الله عنه وكرم وجهـه: (الناس أعداء لما يجهلون).

كمـا يتفق علماء الـروح الحديثون على دخول الظواهر الروحيـة مجال البحث العلمى فـى النصـف الأول من عام ١٨٤٨ عندما ضج سـكان حـى هايدز فيل بمدينة روشسـتر بولاية نيويورك بالشكوى وملأهم الرعب لحدوث بعض الظواهر الخارقة للطبيعة، كحدوث طرقات قوية وسماع أصوات غريبة ليس لها مصادر مادية وظهور أشـباح واختفائها.. الخ. وإزاء تأكد السلطات المحلية لصحة هذه الظواهر وعجزهم عن بيان مصدرها، قام المسئولون بتشكيل لجنة تضم مجموعة من العلماء لبحث هذه الظواهر ووضع تقرير عنها. وبعد دراسة هذه الظواهر دراسـة متأنية انتهت اللجنة إلى نسـبة هذه الظواهر إلى كائنات غير منظورة، ورجحت أن تكون هذه الكائنات أرواح بعض الموتى. ونظراً لعدم اقتناع المسـئولين بصحة الرأى الذى انتهت إليه هذه اللجنة قاموا بتشكيل لجنة ثانية ثم ثالثة، وانتهى الرأى فى جميعها إلى نسبة هذه الظواهر إلى العالم غير المنظور الذى يعيش فيه موتانا من البشر.

ولقـد كان من نتائج هذه التقارير أن تدخل علماء آخرون من المعارضين، بغرض إثبات خطأ هذه اللجان وقاموا بأنفسهم ببحث هذه الظواهر، ولكنهم تحققوا بدورهم من صحة ما جاء بتقرير هذه اللجان، وأثبتوا ذلك فى مؤلفات نشرت لهم فى هذا الخصوص. ومن أهمهم العالم روبرت هير Robert Hare وكان أسـتاذاً شـهيراً للكيمياء بجامعة بنسلفانيا وله مؤلف «تحقيق تجريبى فى الظواهر الروحية» والعالم جون وورث إدموندز John Worth Edmonds الـذى عين بعد ذلك رئيسـاً للمحكمة العليا بنيويورك، وكتـب تقريراً فى جريدة نيويورك كوريير متضمناً أسماء العلماء العشـرة الذين اسـتعان بهم فى موضوع الظواهر الروحية فى هايدز فيل، كما أصدر مؤلفه فى الروحية Spiritualism بالاشتراك مع نائا نييل تالمادج Noth ANIEL Talmadge ومن بين العلماء أيضاً جميس مايس James Mapes عضو المجمع العلمى الأمريكى، ونشر نتيجة بحثه فى هذا الموضوع.

وكان مـن نتيجـة هذه التقاريـر والمؤلفات أن تطاير الخبر إلى كثـير من الدول وخاصة الأوربيـة، وكان الاهتمـام فى إنجلترا كبيراً جداً إلى حد أن أصبحت الجلسـات الروحية هى الشـغل الشـاغل للعائلات هناك، وتقدم كثـيرون إلى «جمعية الفكـر المنطقى» بلندن لبحث هذا الموضوع. وعلى أثر ذلك شـكلت الجمعية لجنة علمية سـنة ١٨٦٩م من أربعة وثلاثين عالماً من أشـهر العلماء فى العالم فى زمانهم والذين لا يرقى الشـك أبداً إلى صحة آرائهـم بهدف إثبات أن الظواهر الروحية مجرد بدعة من الخيال والقضاء عليها نهائياً – ويجدر الذكر أن من هؤلاء العلماء عالم البيولوجى الشهير سير الفريد والاس Alfred Wallace

عضـو الجمعية الملكية لتقدم العلوم بلندن، والعالم سـير جـون لابوك John Lubbock عضو الجمعية الملكية أيضاً لتقدم العلوم بلندن والعالم شـارلز برالون Charlas Bralaugh العالم فى العلوم العقلية والعالم الشهير جداً وليام كروكس William Krooks الذى كان رئيساً للجمعية الملكيـة لتقدم العلوم – وعلى الرغم من أنـه كان من المقرر أن تنهى اللجنة أعمالها خلال بضعة أسـابيع إلا أنها اسـتمرت فى عملها ثمانية عشر شهراً تقريباً، قامت خلالها بكثير من التجارب والبحوث مسـتعينة بوسطاء غير محترفين، وآخذة فى اعتبارها مراعاة الدقة التامة، واتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لمنع أى خطأ أو تدليس.

وفى عام ١٨٧١ م قدمت اللجنة تقريراً فى خمسمائة وعشرين صفحة، منتهية فيه إلى أن جميع العلماء أعضاء اللجنة الذين كانوا عند بدء تشكيلها ينفون إمكان حدوث ظواهر غير طبيعية، قد تحققوا بأنفسـهم من حدوث ظواهر عديدة غير مألوفة، كرؤية أوجه أو أجزاء من أجسام أشخاص غير أحياء، وأيضاً سماع أصوات صادرة من كائنات غير منظورة، وكذا إحضار مجلوبات من الخارج إلى داخل الغرفة المغلقة التى تتم فيها التجربة.

وبالإضافة إلى ذلك تضمن التقرير حدوث كتابة مباشـرة، وكذا ارتفاع بعض الأجسـام الصلبـة أو قطع الأثـاث بغير تدخل أحد من الحاضرين، وأيضاً عبـارات تتعلق بإمكانية العـلاج الروحـى. إلى غير ذلك.. وانتهـى التقرير بتوصية اللجنة بضـرورة الاهتمام ببذل المزيد من البحوث فى هذا الموضوع المهم والخطير.

ولقـد كان لهـذا التقرير أثره البالغ فى تكالب العلمـاء والباحثين على إجراء التجارب والبحـوث، ووضعـوا خبراتهم فى كثير من المؤلفات التى أصدروها فى هذا الخصوص. ولم يقـف الأمر عند ذلك بل أنشـئت الجمعيات الروحية فى كثير مـن الدول، ولا تزال هذه الجمعيات تصدر مجلات علمية تتضمن آخر ما تم التوصل إليه فى هذا المجال.

وكان لما يحدث فى الغرب من أبحاث علمية ودراسـات تجريبية دقيقة من كبار العلماء للروحية وظواهرها أصداؤه بطبيعة الحال فى مصر حتى منتصف السـبعينات تقريبـاً من القرن العشـرين.. إذ تجمع فى تلك الفـترة (١٩٠٠ – ١٩٧٥) على قيد الحياة فى مصر أكبر عدد من نخب مفكريها وعلمائها وفلاسفتها وأدبائها وشعرائها ومثقفيها وفنانيها.. وقاموا بدراسة ما يحدث فى الغرب دراسة متأنية، رغم المعارضة الشـديدة من كثير من أنصـاف المثقفين والمتزمتين.. إما بزعـم مخالفة ذلك للدين، أو بوصـف ما يحـدث من ظواهر روحيـة.. الخ نوعاً مـن التوهم والخيـال يأباهما

المنطق والعقل.. ولكن قد أعان هؤلاء العلماء على مواجهة هذا التيار المعارض، وجود جذور عميقة لهذا الموضوع فى الأمة العربية عدد من علمائنا الجليلون الأوائل وتشهد بها مؤلفاتهم. ومن هؤلاء العلماء الأئمة الغزالى وابن القيم والبقاعى.. وغيرهم التى تدل جميع مؤلفاتهم على صحة الظواهر الروحية، وأن البحث فى الروح من العلوم التى يجب أن تنال عناية العلماء.

وهو ما أكد عليه أيضاً تلك النخبة من علمائنا فى تلك الفترة المشار إليها من القرن العشرين ومنهم الشيخ طنطاوى جوهرى الذى كان يحث علماء مصر ومفكريها ومثقفيها على الاهتمام بالعلوم الروحية التى لم يعد هناك شك فى صحتها، وعدم معارضتها للأديان السماوية ومن ذلك ما قاله فى مؤلفه «كتاب الأرواح» الذى نشر فى عام ١٩٢٠: (فهل نقف أمام هذه الأحداث صامتين؟ إنه لعيب فاضح وخطأ واضح وشين بين. نحن أحق بهذا العلم من الغربيين إن الأمر لجلل يعوزه كتب تؤلف ومجامع تحشد وعلماء تنتقد، أنا لست فى كتابى هذا أثبت العلم الروحى فحسب، فلقد سبقنى إليه من نشروا الفكر وأذاعوا أمره.. ولكنى أجد ذلك يطابق ما نص عليه الغزالى وغيره بطريق الكشف).

والشيخ أحمد حسن الباقورى الذى يؤكد على صحة علم استحضار الأرواح ويوجه اللوم لمن ينكرون ذلك لجهلهم بأصول هذا العلم إذ يقول فى كتابه «عالم الروح» من ١٧، ١٨: (ومهما أنكر المفكرون استحضار الأرواح والتنويم المغناطيسى. فإنهم فى هذا الإنكار لا يستندون إلى حجة ولا يقترنون بمنطق وكل ما يسوغون به إنكارهم أنهم لم يطلعوا على ما أثبته الباحثون، وهو تسويغ لا يلجأ إليه عاقل ولا يرضى به من يؤثر الإنصاف على الجور والاعتساف).

هذا وقد حمل بالفعل لواء البحث فى العلوم الروحية علماء مصريون أفاضل. كان لهم فضل الريادة فى مجال البحث الروحى، نخص بالذكر منهم المرحومين الأستاذ/ أحمد أبو الخير الذى أسس جمعية الأهرام الروحية وله عدة مؤلفات وكتب مترجمة فى هذا الموضوع، والأستاذ الدكتور/ رؤوف عبيد الذى كان أستاذاً للقانون الجنائى ووكيلاً لكلية الحقوق بجامعة عين شمس ومن أهم مؤلفاته (الإنسان روح لا جسد) وهو كتاب علمى بكل المقاييس، ويضم الكثير من التجارب العلمية التى قام بها علماء غربيون فى بلادهم، أكثرهم من أساتذة الجامعات الأجنبية فى التخصصات المختلفة. كالطب والفلسفة والفيزياء والكيمياء والهندسة وغيرها.

والأستاذ الدكتور/ على عبد الجليل راضى أستاذ الفيزياء الشهير بكلية العلوم جامعة عين شمس وترأس جمعية الأهرام الروحية فترة ازدهارها ومن أهم مؤلفاته: أعرف روحك، وأنت تحيا بعد الموت «٣ أجزاء».. الخ.

والأستاذ الدكتور/ مصطفى الديوانى الذى كان أستاذاً بكلية الطب بجامعة القاهرة ووكيلاً لجمعية الأهرام الروحية.. وصاحب المقالات والمحاضرات والندوات العديدة فى مجال العلوم الروحية.

والأستاذ الدكتور/ سمير الشناوى مؤلف كتاب «بعد الموت تبدأ الحياة فى عالم غير منظور – أدلة من العلم والدين» الذى عنى عناية كبيرة فى هذا الكتاب بأن يحقق التقاءً موضوعياً بين النصوص الدينية والحقائق العلمية الثابتة فى مجال العلوم الروحية.

ولقد بذل هؤلاء وغيرهم – ممن لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً – جهوداً مشكورة فى نشر الوعى بالعلم الروحى عن طريق مؤلفاتهم ومقالاتهم وندواتهم العديدة. ووضع ترجمات لكثير من الكتب الأجنبية فضلاً عن إلقاء محاضرات وعقد اجتماعات وحوارات وجلسات روحية بحضور العلماء والوسطاء والأجانب الذين دعوا لزيارة مصر خصيصاً لحضور وعقد هذه الاجتماعات والجلسات..

ولقد كانت الآمال معقودة على استمرارية هذه البحوث والدراسات الروحية ونشر الوعى بها فى مصر وإنشاء العديد من الجمعيات الروحية لتباشر مهامها فى محافظات مصر المختلفة تواكباً مع تقدم هذه العلوم وإضطراد تطورها بشكل مذهل فى الغرب – غير أنه للأسف الشديد تراجعت الأمور بشكل مذهل غريب وغير مسبوق فى أية دولة فى العالم خاصة بعد وفاة أولئك الرواد إلى حد أن ألغيت جمعية الأهرام الروحية لعدم الاهتمام باستيفاء المتطلبات والإجراءات القانونية لاستمرارها – مما أدى إلى اتساع الفجوة بيننا وبين ما وصلت إليه بحوث ودراسات علماء الغرب إلى أكثر من قرن من الزمان على رغم أن أرضنا هى مهبط الرسالات السماوية ومهبط الروح فيها ونحن أحق بكثير بهذه العلوم الروحية منهم ليتسنى لنا الدعوة على علم متكامل لهذه الرسالات وقيمها وأخصها وخاتمها الرسالة المحمدية بما تحمله من دلائل عظمة وإعجاز.

وفى الواقع أننى كنت حتى عام ١٩٩٦ واحداً من هؤلاء الكثيرين الذين ينكرون من غير علم أو دراسة – فكرة الجلسات الروحية وإمكان اتصال الأحياء بالأموات. لأن الموت فى اعتقادى كان يعنى العدم المطلق، إلى أن تقوم الساعة ويبعث الله الموتى فى الحياة

الأخـــرى – إلى أن دعانـــى فـــى برلين أحد الأصدقـــاء الألمان من أصل مصـــرى – وهو من المثقفين المشـــهور لهم بإتقان الترجمة من العربية إلى الألمانية أو العكس ســـواء فى أوســـاط الجاليات العربية أمساط المثقفين الألمان – عندما كنت أحد أعضاء البعثة التمثيلية المصرية هناك لحضور إحدى الجلســـات الروحية وتكررت هذه الدعوة مرة أخرى بعد حوالى شـــهر مـــن الأولى وقد ســـاعدنى إتقان صديقى هذا للألمانية لفهـــم الكثير مما يدور حولى فى هاتين الجلستين – وفيما دار بعد كل منهما من نقاش وحوارات بينى وبين بعض المثقفين الألمان ومنهم أســـاتذة جامعة ومحامون وأطباء حول ما شـــاهدناه وسمعناه – وعلى أية حال فلقد خرجت من هاتين الجلســـتين وما دار حولهما من استفسارات وحوارات إلى تراجعى كثيراً عـــن الإنكار وضرورة التعرف إلى هذا العلم الحديث ومتابعة ما يجرى فيه.. وربما أيضاً قد شـــجعنى على هذا التراجع ما قرأته فى مؤلف الشـــيخ طنطاوى جوهرى «كتاب الأرواح» الذى صورته فى برلين بعد استعارته من صديق ألمانى آخر من أصل مصرى إذ يقول ضمن ما يقول عن أهمية دراسة الروح فيقول: (هذه الدراسة سلوى المحزونين، وإيقاظ الغافلين، وتعليم الجاهلين واتباع الإيمان باليقين، ورقى الأخلاق، وتقليل النفاق، وضعف الشـــقاق، وذهاب الأحقاد والوثوق بحياة جديدة، فلا يفزع الناس أشـــد الفزع من الممات، ويقى بكاء الباكيات، ويسهل احتمال النكبات وأشد الأزمات..).

كما قد يكون ما شـــجعنى أيضـــاً ما قرأته وسمعته آنذاك عن الدراســـات الروحية ومن أنها دائرة للمعارف تعين على فهم حقيقة النفس البشـــرية ومدى اتصالها بالبدن وتأثيرها فيـــه وتأثرهـــا به، وبصفة خاصة من حيث تأثير العقل فى المادة، بالإضافة إلى أنها المصدر الوحيد للوقوف على قدرات الروح الحســـية عن غـــير طريق الحواس، وهو ما درجنا على تســـميته بالحاســـة السادسة، كما تعنى هذه الدراســـة أيضاً بعلاج بعض الأمراض النفسية والعصبية التى ترجع إلى أســـباب روحية.. كما أنها من حيث كونها دراســـة روحية فإنها تقوم على مبادئ ســـامية اتفق علماء الروح عليها، واســـتقرت فى وجدانهم حتى أصبحت دســـتورا لهم فى وضع وتنفيذ مناهج بحثهم وأهم هذه المبادئ التى وردت عرضا فى معظم المؤلفات الروحية (هانن سوافر «قصتى العظمى») هى:

١ – الإيمان بالله رب العالمين.

٢ – أخوة الإنسان للإنسان.

٣ – صحة الاتصال بالأرواح وجدواه فى تعزيز الإيمان وبث الطمأنينة.

٤ – دوام حياة الروح الإنسانية.

٥ – التسليم بمسئولية الإنسان الخلقية عن أفعاله.

٦ – استحقاق الإنسان للثواب والعقاب لجميع الأفعال الخيرة والشريرة التى تصدر عنه.

٧ – التأكيد على أن باب التقدم والارتقاء موجود ومفتوح بصفة أبدية لكل نفس بشرية.

مما زاد فى قناعتى من أن تشـدد الكثيرين مع العلوم الروحية – دون بحث أو دراسـة – يرجع أيضاً إلى بعض المعتقدات الدينية الخاطئة لديهم، مما يدعوهم إلى رفض وتكذيب كل ما يعرض عليهم بغير دليل – خاصة بعد ما أخذت أستوثق من صحة ما أقرأ بالرجوع إلى العديـد مـن المراجع الأجنبية والعربية وكان من أهمها إحيـاء علوم الدين: للإمام أبى حامد الغزالى المتوفى سـنة ٥٠٥ هـ وكتاب الروح لأبن القيم المتوفى عام ٧٥١ هـ فقد وصل هذان العالمان منذ قرون إلى معظم الحقائق العلمية التى أثبتها علماء الروح الحديثون والتى اسـتمدوها من مرجعين لا يمكن أن يتطرق الشـك بهما هما كتـاب العزيز «القرآن الكريم» وأحاديث الرسول ﷺ.

وفى عام ١٩٩٨ نقلت إلى قنصليتنا العامة فى الكويت لأنضم إلى عضوية بعثتنا الدبلوماسية فى الكويت وهناك توليت مسـئولية قطاع الأحوال المدنية بالقنصلية وكل ما يتعلق بشـئون الجاليـة المصرية فـى الكويت بالإضافة إلى مزاولة هوايتى فـى الكتابة فى بعض الصحف هناك وخاصة جريدة القبس التى كانت تنشـر لى الكثير من المقالات والأشـعار مما أتاح لى فرصة التعرف إلى كثير من المثقفين سـواء فى الجالية المصرية أم فى الأوسـاط الكويتية وهم من الغريب كثير فى هذا البلد – على رغم صغر حجمه وقله عدد سكانه – ولا أخفى عليك عزيزى القارئ أن مسـألة تتبع الدراسـات الروحية فى الغرب وما يجرى حولها وفيها من بحوث كانت لا تزال تشغل حيزاً كبيراً من تفكيرى واهتمامى وقد أدهشنى هناك أن كثيراً من المثقفين الكويتيين على دراية بهذه الدراسات والبحوث أكثر منا بل إن منهم من يعرف عن علمائنا من رواد هذا العلم وعما تناولوه أكثر مما نعرف فقد أعارنى الأسـتاذ/ عبد الله عيسى وهو أحد الصحفيين المعروفين بجريدة القبس ثلاثة كتب فى هذا المجال:

قمت بتصويرها بعد قراءتها للاحتفاظ بموضوعاتها – هى:

١ – «الإنسان روح لا جسد» للأستاذ الدكتور رؤوف عبيد.

٢ – «أنت تحيا بعد الموت» للأستاذ الدكتور على عبد الجليل راضى.

٣ – «على حافة الأثير»: والذى ترجمه الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير.

وهى كتب علمية بكل المقاييس إذا ما طبقت عليها المنهج العلمى فى البحث والتجريب – وتضم الكثير من التجارب العلمية التى قام بها مشاهير علماء الغرب فى بلادهم، وأغلبهم من أساتذة الجامعات فى التخصصات المختلفة، كالطب والفلسفة والفيزياء، والكيمياء، والهندسة، وغيرها.

ولا شك أن هذه الكتب قد جذبت انتباهى وأثارته بشكل كبير لأن التجارب التى أوردتها هذه الكتب قد أجريت كما ذكرت على يد علماء من ذوى الشهرة العالمية فى تخصصاتهم ويتمتعون بمكانة رفيعة فى بلادهم كما تبين لى مما قرأت، بأنه قد تم الالتزام الكامل والدقيق فى هذه التجارب بالأسلوب العلمى سواء فى الإجراءات أم استخلاص النتائج مما يستبعد تماماً أن تكون المعلومات التى وردت منها من نسج الخيال ولا يدع مجالاً للشك فى صحتها.

ولما كانت هذه التجارب قد انتهت إلى ثبوت إمكان الاتصال بأرواح الموتى والتحدث إليها وإلى تصويرها خلال حالات الجسد، فضلاً عن ظهور ملكات وظواهر روحية ووساطية عديدة من خلال هذه الاتصالات فضلاً عن إمكانية علاج بعض الأمراض النفسية والعصبية وإمكان الاستعانة بالأرواح المرشدة فى علاج بعض الأمراض العضوية.. الخ فلقد كان لزاماً علىّ – ترتيباً على ذلك – أن ينتفى لدى تماماً أى مبدأ للرفض أو الإنكار خاصة بعد أن أملى على واجب الحيطة مرة أخرى الرجوع إلى الكثير من المراجع والمجلات العلمية والأجنبية التى جاءت جميعاً تؤيد النتائج المشار إليها مؤكدة على صحتها.

كما ازداد يقينى بأن اهتمامنا فى مصر والعالمين العربى والإسلامى بالعلوم الروحية يجب ألا يقل عن اهتمامنا بعلوم الطبيعة وغيرها من علوم المادة، فهما جزءان متكاملان من عالم واحد، ويجدر الذكر بأنه قد نادى بهذا المعنى أيضاً منذ أكثر من مائة عام السير أوليفر لودج عالم الفيزياء الإنجليزى الشهير وأحد رواد علم الروح الحديث فى الغرب إذ قال وهو يلقى بياناً له فى المجمع العلمى البريطانى سنة ١٨٩١:

(إن الحد الفاصل بين العالمين المادى والروحى قد أوشك أن ينهار كما انهارت فواصل كثيرة غيره، وبذلك سنصل إلى إدراك تام لوحدة الطبيعة وأن الأشياء الممكنة لا حد لها، كما أن الوجود نفسه لا حدود له ولا نهاية وما نعلمه الآن منه لا يساوى شيئاً بالنسبة لما غاب عنا علمه).

وهنا قد يعذرنى القارئ العزيز مؤيداً إياى فى هذا التساؤل:

أليس هذا ما يؤكده بشكل مباشر ديننا العظيم الإسلام داعياً إيانا دوماً إلى استخدام فكرنا وعقولنا فى إمعان التأمل والتبصر فى الكون والوجود وما يدور حولنا فى العالم؟!

وأليس مما يعنيه من ضمن ما يعنيه ديننا العظيم الحنيف أن مقاييسنا العقلية التى استمدت كيانها من معارفنا السابقة لا تصلح فى كل الأحوال للحكم الصائب على القضايا والأمور المستحدثة؟! فمن من الناس فى العهود السابقة قبل اختراع المسرة والتلفزيون وتطور علم الاتصالات وهندسته كان يصدق إمكان انتقال الصور والأصوات عبر القارات، ومن منا قبل الوصول إلى القمر كان يصدق إمكان غزو الإنسان للفضاء.. أو إمكان التحكم عن بعد فى الأقمار الصناعية وسفن الفضاء والطائرات التى تطير بلا طيارين؟ و أليس ما نجهله فى هذا الكون الغامض وما به من كائنات أكثر بكثير مما عرفناه فيه؟ و أليس من الأفضل أن يكون موقفنا دائماً هو عدم التعجل وتأجيل إصدار الأحكام إلى ما بعد الدراسة والبحث وامتلاك الحجة والدليل كما يحضنا على ذلك ويؤكد عليه ديننا العظيم الحنيف – واضعين نصب أعيننا أنه لا مستحيل على قدرة الله، وأن كل شىء يمكن أن يكون إلى أن يثبت العكس بالدليل القطعى؟

عزيزى القارئ :

لقد ذكرت لك من قبل أننى كنت واحداً من الذين ينكرون – عن غير علم أو بحث أو دراسة – العلوم الروحية، لأن الموت كان فى اعتقادى يعنى العدم المطلق، إلى أن تقوم الساعة ويبعث الله الموتى فى الحياة الأخرى وأن البحث فى العلوم الروحية يتناول أمورا كلها من الغيبيات المحجوبة عنا بحجابين كثيفين، هما الزمان لأنها أمور مستقبلية، والمكان باعتبارها أحداث يجرى معظمها فى عالم آخر غير عالمنا المشهود الذى ألفناه ونعيش فيه. فمعرفة مصير الإنسان بعد الموت، وعالم البرزخ.. وما شابه ذلك: كلها أمور لا يتأتى أن يدركها الإنسان بحواسه ذات القدرات المحدودة كما لا يمكن إدراك هذه الأمور بعقولنا لأن إعمال العقل يكون فى نطاق المألوف فى حياتنا الدنيا وقياساً عليه متصوراً من أجل ذلك أن البحث فى هذا الموضوع لا يعدو أن يكون نوعاً من التصور الذى يقوم على الحدس فلا يرقى إلى مرتبة العلم واليقين. ومع التسليم بأن الأصل فى هذه الأمور أنها من الغيبيات للاعتبارين السابق ذكرهما، **إلا أنه فى الحقيقة قد فاتنى شىء مهم جداً وأساسى هو أنه كان لزاماً علىَّ التمييز بين ما هو غيب مطلق وبين ما هو غيب نسبى.**

فالغيب المطلق هو الذى لا يعلمه، ولا يتأتى لأحد أن يعلمه إلا الله وحده لقوله سبحانه وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة الأنعام – الآية ٥٩].

وهذه المفاتيح قد بينها الرسول ﷺ بقوله : **(مفاتيح الغيب خمس، إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث، ويعلم ما فى الأرحام، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً، وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبيرٌ)** أخرجه البخارى فى صحيحه.

فهذا الحديث قد حصر الغيب المطلق فى هذه الأمور الخمسة، وهى ذاتها التى حددها الله تعالى فى كتابه الكريم فى الآية ٣٤ من سورة لقمان:

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ۖ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة لقمان – الآية ٣٤].

وعلى ذلك فلا يجوز لأحد ادعاء العلم بشىء منها.

أما ما عدا هذه الأمور الخمسة من الغيبيات، فهى من قبيل الغيب النسبى الذى أتاح الله لعباده مكنة معرفته، فهو غيب بالنسبة لأقوام دون أقوام، أو للبعض دون البعض كقوله عز وجل:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة يوسف – الآية ١٠٢].

وكقوله جل وعلا : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة آل عمران – الآية ٤٤].

ويستوى أن يكون العلم بها متاحاً لعامة الناس، أو قاصراً على بعض الخاصة كالرسل والعلماء. وفى مجال الغيب جاء أيضاً قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الجن – الآيات: ٢٦، ٢٧].

والغيبيات من هذا النوع عديدة ومتباينة، وتشمل كل ما غاب عن حواسنا فلم تدرك

عقولنا كنهه أو حقيقته. وقد نهانا الله أن نقف أمام هذه الغيبيات معصوبى الأعين مغلقى العقول، بل أمرنا أن نفكر ونتدبر فى كل ما يتعلق بحياتنا لكى نستخلص منها القوانين الدقيقة التى وضعها سبحانه لتحكم هذا الكون وسننه التى تنظم هذا الوجود - وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[سورة الذاريات - الآيات ٢٠، ٢١].

وهكذا يتسنى للعلماء - بفضل الله وتوفيقه - أن يطرقوا بعقولهم العديد من المجاهل التى يزخر بها هذا الكون وما خلق الله فيه، فتجلت بذلك أمام أنظارنا قوانين تزيدنا إيماناً وتسليماً بوحدانية الخالق وعظيم قدرته.

وإذا كان البحث لازماً فيما لم يرد فيه نص، فهو فى موضع النص أهم وألزم. فآيات القرآن جاءت جامعة شاملة لكل ما فى الوجود من معارف وعلوم، كما تناولت الحياة الإنسانية منذ بدء الخليقة حتى قيام الساعة، وما يصير إليه الناس فى الحشر والحساب، وما أعد الله لهم من ألوان النعيم والعذاب. ولقد أمرنا الله تعالى أن نتدبر آيات القرآن كلها لنقف على مدلولاتها ونستخلص ما وراءها من حكمة فى قوله جل وعلا: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة النساء - الآية ٨٢].

وإذا علمنا أن الآيات التى تناولت حياة الإنسان بعد الموت وما نلقاه فى الحياة الأخرى قد تجاوزت ألف آية، لأمكننا أن ندرك بوضوح أن هذه الحياة - وإن كانت من الغيبيات - إلا أن الله أراد أن يطلعنا على الكثير من أحكامها لنزداد رغبة فى طاعته، ورهبة من ارتياد طرق المعاصى والآثام وما علينا إلا أن نتدبر هذه الآيات فى أناة وروية، لأن فيها الهداية والبشارة والنذر - ورحم الله الإمام الغزالى عندما أدخل الإلمام بهذه الأمور الغيبية فيما أسماه بعلم المكاشفة وهو علم الصديقين والمقربين وبه تحصل المعرفة الحقيقية بالله جل وعلا وصفاته الباقيات التامة، وبأفعاله وحكمه فى خلق الدنيا والآخرة، ومعرفة عذاب القبر والحياة الأخرى، والصراط والميزان والحساب والجنة والنار.. إلى غير ذلك (إحياء علوم الدين - ج ١ - دار الغد العربى ١٩٨٩ ص ٣٤).

وسبحان من أنزل هذا الكلام:

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الإسراء – الآيات ٩، ١٠].

ويجدر الذكر هنا عزيزى القارئ أيضاً أن من الاعتراضات التى قد يثيرها البعض على الدراسات الروحية :

١ – **أنها دراسات لا جدوى كبيرة حالياً من ورائها**، ويكفينا منها ما قدمه لنا مفسرونا الأوائل، كابن سيناء، والإمام الغزالى، وابن القيم.. وغيرهم.

٢ – **أن أى دراسة أو كتاب يصدر حالياً فى مصر أو الوطن العربى فى صميم العلوم الروحية، ويقتصر على الشرح النظرى والتجارب التى تجرى فى الغرب، لن يحظ باهتمام القارئ العربى.** لأن هؤلاء القراء والمطلعين يريدون على الأقل أدلة قاطعة تتردد أصداؤها فى الوطن من أشخاص معروفين لهم ويتمتعون بثقتهم حتى يحملهم ذلك – بصفة مبدئية – على الإيمان بالروحية والتصديق بها.

وللرد على ذلك يلزم توضيح بعض الأمور بالتالى:

١ – أن الدراسات الروحية – حسبما ورد فى كتاب الله العزيز – علم ونحن مأمورون بالاستزادة فى العلوم فى مختلف المجالات دون استثناء ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة طه – الآية ١١٤].

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الزمر – الآية ٩].

لأن التعليم والتعلم من الأشياء النافعة نفعاً محضاً، فهى مغنم فى ذاتها ولا تقاس أهميتها بمغانم أخرى ومن أجل ذلك لا يجوز أن يقف العلم عند عصر من العصور، وإلا لاكتفينا فى الطب بدراسات ابن سيناء وفى الكيمياء بما توصل إليه ابن حيان، وهكذا – وإن قيمة الدراسات العلمية تتضح جلياً بما تؤدى إليه من نتائج. لذا فإننا يجب ألا نتوقف عن مواصلة البحث والدراسة حتى لو فشلت بعض بحوثنا فى تحقيق بعض النتائج التى نرجوها فإن جهود العلماء المتواصلة وفشلهم تارة ونجاحهم تارة أخرى هى التى طورت الحياة على الأرض – **ويجدر الذكر هنا فيما يتعلق بتطوير الدراسات**

الروحية فى الغرب أن هذه الدراسات والبحوث التى أجريت عليها قد أدت إلى انتشار العديد من المستشفيات والمراكز العلاجية فى الغرب والدول المتقدمة ونجاحها فى علاج مئات الآلاف من المرضى وأننا أحوج بكثير جداً لها من الغرب.

٢ – أما فيما يتعلق بكون الدراسات الروحية التى سنقدمها تعتمد أساساً على الشرح النظرى والتجارب التى تجرى فى بلاد الغرب لا فى بلادنا مما يقلل من اهتمام القارئ العربى إذ أنه يريد أدلة قاطعة تتردد أصداؤها فى بلادنا من أشخاص معروفين لهم ويتمتعون بثقتهم حتى يحملهم ذلك على الإيمان بالروحية والتصديق بها – **فإننى أود الإحاطة للرد على ذلك بما يلى:**

(أ) إننى أتفق تماماً مع مطلب دخول الدراسات الروحية البحث التجريبى فى مصر – وهو ما كان موجوداً فى مصر فعلاً عندما كانت هناك جمعية الأهرام الروحية وقبل رحيل رواد هذا العلم فى مصر من أمثال أ. د/ رؤوف عبيد، أ. د/ أحمد أبو الخير، أ. د/ على راضى، أ. د/ مصطفى الديوانى.. وغيرهم وإلغاء جمعية الأهرام لأسباب إجرائية وإدارية – كما تقدم شرحه..

وعلى أية حال فإن تحقيق هذا المطلب بصفة فورية ينطوى على عدم المعرفة الكاملة بواقع علوم ما وراء الطبيعة، فهى ليست كعلوم الطبيعة التى يمكن إثباتها فى المعمل بإمكانيات محدودة، وإعادة التجربة كلما عنَّ لنا ذلك، والحصول على ذات النتيجة فى كل مرة. إن نجاح التجارب فى الأبحاث الروحية يتوقف على عوامل كثيرة – كما سنعرض له فيما بعد – ولعل من أهمها إيجاد الشخص الذى تتوفر لديه قدرات وساطية تمكنه من الاتصال بالجانب الآخر. وليس معنى ذلك أنه لا يوجد هؤلاء الوسطاء فى مصر أو فى الوطن العربى، بل إنهم موجودون وبوفرة، وكل ما فى الأمر أنهم لا يدركون هذه الملكات فى أنفسهم، ويلزمهم شيء من التدريب والممارسة. ولكن لا سبيل للاستدلال على هؤلاء للاستعانة بهم، إلا بنشر الوعى بالدراسات الروحية وإنشاء جمعيات روحية تنشر الوعى الروحى بالوسائل الممكنة المتاحة، من أجل حمل من يحسون بأن لديهم مواهب وقدرات روحية كامنة التقدم لاختباراتهم الوساطية. وإلى أن يتم ذلك ستظل دراساتنا مقصورة على الجانب النظرى مع ثقل تجارب الغرب فى هذا الخصوص.

(ب) ولا يعنى هذا التقليل من أهمية الدراسات الروحية التى تتم بهذا الأسلوب، **فدراسة الظواهر الروحية – فى حد ذاتها – من شأنها أن تفتح أمام القارئ، آفاقاً**

جديـدة من المعرفة فى كل المجـالات بصفة عامة، وفى مجال العلوم الدينية على وجه الخصوص. فكثير من الحقائق الواردة فى الديانات السـماوية وخاصة فى القرآن الكريم والأحاديث النبوة الشـريفة تتضح أبعادها أكثر إذا سـلمنا بأهمية الدراسات الروحية وتعرفنـا إلى الأرواح وخصائصهـا، وأنها كائنات حية ذات أجسـام أثيرية تملأ الفراغ من حولنـا وتتميز بالخلود إلى يوم البعث.. وأنها تتمتـع بدرجات اهتزاز عالية لذا نعجز عن إدراكها من خلال أجسامنا المادية ذات القدرات الحسية المحدودة – وهو ما سيتم شرحه تفصيلاً فيما بعد.

(جـ) إن ما سنتناوله فى أبواب هذا الكتاب للتعرف إلى أحكام الحياة والموت، وما عساه أن تكون عليه أجسـادنا الأثيرية عند النوم وعند الموت فى البرزخ، وأهم الظواهر الروحية وخاصة عند الكلام عن العالم الأثيرى، والظواهر الوسـطية التى تندرج تحت علم ما وراء الطبيعـة «علم الروح الحديث» والتى اعد همزة الوصل بين عالمين، هما المادة حيث نعيش نحن الأحياء، والعالم الأثيرى حيث توجد أرواح موتانا.. قد ورد فى شـأنه آيات عدة فى القرآن الكريم فضلاً عن الأحاديث النبوية الشـريفة ولا شك لدى الجميع مزيداً من الإقناع والاقتناع وبسد الفجوة الموجودة حالياً نتيجة الافتقاد إلى الجانب التجريبى حالياً فى مصر فى مجال الدراسات الروحية.